العلاقة بين علمي النحو والبلاغة

دراسة بلاغية نقدية

إعداد

د/ أحمد عبد الحفيظ محمد مرسي

قسم الأدب والنقد، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، مصر

العام الجامعي : ١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٣ م

العلاقة بين علمي النحو والبلاغة دراسة بلاغية نقدية

أحمد عبد الحفيظ محمد مرسي

قسم الأدب والنقد، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، مصر.

البريد الإلكتروني: Ahmed abdelhez168 @ gmail.com

ملخص البحث: إن النحو والبلاغة كل لا يتجزأ، فلم ينفصل أحدهما عن الآخر على مر العصور، فالبلاغة قرينة النحو من قبل التقعيد النحوي، والتنظير البلاغي ومن بعد، فالعلاقة بينهما وطيدة، وأواصر الرحم بينهما موصولة وقوية، فمنذ العصر الجاهلي وقد كانت القواعد النحوية، والنظريات البلاغية حينئذ بين الصلب والترائب وجدت الصلة الوطيدة فقد وجدت بعض العبارات النقدية التي تجمع بين النحو والبلاغة منذ العصر الجاهلي، وقد احتوى البحث على ما يلي: المقدمة وفيها عرضت لخطورة الفصل بين النحو والبلاغة ، والأسباب الكامنة وراء اختياري لهذا البحث ، ومحتويات البحث، والتمهيد وفيه عرضت لأقوال بعض العلماء والتي توصى بالربط بين النحو والبلاغة ، ثم الفصل الأول وعرضت للصلة بين النحو والبلاغة فيما قبل التقعيد النحوي ، والتنظير البلاغي ،ثم الفصل الثاني وعرضت فيه للصلة بين النحو والبلاغة بعد التقعيد النحوي، والتنظير البلاغي، ثم الخاتمة، وفيها عرضت لأهم النتائج التي توصلت إليها، ثم التوصيات، وبعد ذلك فهرس للمراجع ،وفهرس للموضوعات ،والله من وراء القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

والله اسأل أن يكون هذا العمل خالصا لو جهة الكريم.

الكلمات المفتاحية: التقعيد، التنظير، النحو، البلاغة، النقد.

The relationship between syntax and rhetoric - a critical rhetorical study

Ahmed Abd El Hafeez Mohamed Morsi
Department of Literature and Criticism, Faculty of Dar Al Uloom, Minia University, Egypt.
Email: Ahmed abdelhez168@gmail.com

Abstract : Syntax and rhetoric are a whole not divisible, they didn't separate one from the other throughout the ages, rhetoric presumption of syntax by establishing syntax rules, and rhetorical theorizing and after, the relationship between them is strong, and the bonds of the womb between them are connected and strong, since the pre-Islamic era has been grammatical rules, and rhetorical theories then between the backbone and the ribs found a close link has found some critical phrases that combine Syntax and rhetoric since the pre-Islamic era, the research has included the following: Introduction: In which I presented the seriousness of the separation between syntax and rhetoric, and the reasons of my choice of this research, and the contents of the research, and the preface in which I presented the sayings of some scholars, which recommend the link between syntax and rhetoric, then the first chapter and presented the link between syntax and rhetoric before establishing syntax rules, and rhetorical theorizing, then the second chapter and presented the link between syntax and rhetoric after establishing syntax rules, and rhetorical theorizing, then the conclusion, in which I presented the most important results, then the

recommendations, And then an index of references, and an index of topics, For the sake of Pleasing Allah, Allah suffices me, for He is the best disposer of affairs. I ask Allah that this work be for his sake.

Keywords: Establishing Syntax Rules, Theorizing, Syntax, Rhetoric, Criticism.

المقدمة

الحمد لله الملك العلام، الكبير المتعال، ذو الجلال والإكرام، علم رسوله فصاحة القول وأصول البيان، والصلاة والسلام على رسول الله خلاصة معد، ولباب عدنان، الذي نسف بفصاحته وبلاغته قواعد الإلحاد والكفر والطغيان، والصلاة والسلام على آله وصحبه آل البر والإحسان.

وبعد

إن النحو والبلاغة كل لا يتجزأ، فلا ينبغي بأية حال من الأحوال أن يدرس النحو بمعزل عن البلاغة، فحاجة كل منهما للآخر شديدة، فإن ما يضير النحو والبلاغة أن يقف كل فرع منهما شاخصاً أمام الآخر، ذلك هو الداء العضال الذي مزق وحدة اللغة العربية، وشق جمعها، وهي حينئذ كل واحد.

فعندما احتكم حسان بن ثابت والخنساء إلى النابغة الذبياني وقال (حسان) بيته الشهير:

لنـــا الجفنـــات الغـــر يلمعـــن بالضـــحى

وأسيافنا يقطـــرن مـــن نجـــدة دمـــا [1]

عاب النابغة على حسان استخدامه جمع القلة في مقام وسياق يستدعى جمع الكثرة حيث قال النابغة:

" يا بني إنك قلت لنا: الجفنات فقللت عددك، وقلت: يلمعن بالضحى ولو قلت في الدجى لكان أفخر" [2] .

---

(١) ديوان حسان بن ثابت، حققه وعلق عليه د/ وليد عرفات أستاذ العربية والإسلامية بجامعة لانكستر، دار صادر بيروت الجزء الأول، صـــ٣٥.

(٢) غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب، تأليف الشيخ الإمام محمد السفاريني الحنبلي صـــ١٧٥. د. ت

فقد ربط النابغة في نقده بين النحو والبلاغة حيث عاب على حسان مجيئه بجمع القلة في سياق يستدعى الكثرة؛ ، وجاء العصر الإسلامي ؛ليطل بوجهه المضيء على العالم أجمع بمعجزته الخالدة وهى : القرآن الكريم فقد قرن القرآن الكريم في آياته النحو بالبلاغة ، فما تقدم فاعل ولا تأخر عن مفعوله، ولا تقدمت حال على عاملها أو صاحبها، أو تأخرت ولا جاء تمييز منصوب أو مجرور، ولا اشتغال بأحواله ولا تنازع ولا تركت قاعدة نحوية إلا لعله بلاغية اقتضاها السياق وطلبها المقام ، فقد أخر خبر لا في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ﴾ (١) ، وتقدم في قوله تعالى: ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ (٢) .

ورفعت كلمة (الصابئون) بالرغم من عطفها على منصوب في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ ﴾ (٣)، وحذف حرف العلة في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ ﴾ (٤)، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾(٥) دون جازم، وبنى الضمير المجرور، على الضم في قراءة حفص بالرغم من أن الأصل بناؤه على الكسر وذلك في قوله تعالى: "ومن أوفي بما عهد عليه الله "(٦)، وكل ذلك لعلل بلاغية اقتضاها السياق.

وما السنة النبوية الشريفة من ذلك ببعيد فقد ترك المصطفي الكريم- ﷺ المطرد من القواعد لعلة بلاغية كقوله ﷺ: " إن من أشد الناس عذابا

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢.

(٢) سورة الصافات: الآية ٤٩.

(٣) سورة المائدة: الآية ٦٩.

(٤) سورة هود: الآية ١٠٥.

(٥) سورة الكهف: الآية ٦٥

(٦) سورة الفتح: الآية ١٠.

يوم القيامة المصورون " [١] .

فالمصورون اسم إن منصوب وقد جاء مرفوعا في مخالفة للقاعدة وذلك لغرض بلاغي .

فبالرغم من أن بعض النحويين تأولوا اسم إن ضمير الشأن محذوف إلا أنني لا أقرهم على ذلك؛ لأن السياق

اقتضى إن يكون اسم إن مرفوعا إمعانا في العذاب، إذ إن الواو أقوى من الياء وهذا يتناسب مع شدة العذاب الذي ينتظر المصورين، ثم جاء ما بعد العصر الإسلامي، وقد ظهرت الإرهاصات الأولية للتقعيد النحوي، والتنظير البلاغي، وظهرت المؤلفات التي تمزج بين النحو والبلاغة كالكتاب لسيبويه، والمفصل لابن يعيش، والتصريح بمضمون التوضيح، فبالرغم من أن هذه الكتب أمهات للنحو إلا أنها احتوت على كثير من النكات البلاغية المهمة، وذلك في طي الموضوعات النحوية، وكذلك احتوت على العلل الكامنة خلف هذه القواعد.

بل إن أمهات الكتب في البلاغة احتوت على قواعد نحوية كثيرة كدلائل الإعجاز، والمثل السائر لابن الأثير، والإيضاح للقزويني وغيرها.

أنا لا أنكر أنه في العصور الأولى للتأليف ظهرت مؤلفات لا تمزج النحو بالبلاغة، ولكن كان ذلك على خجل وحياء شديدين، وكلما مر الزمن بدأت الفجوة بين العلمين تتسع وبدأت تطفو على السطح مؤلفات كبيرة محدودة العدد تدرس النحو بمعزل عن البلاغة حتى إذا جاء العصر الحديث أصبح الأمر نهجا متبعا، وسنة رشيدة، صفق لها الباحثون وانتهجها المؤلفون.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب اللباس باب ما وطئ من التصاوير برقم ٥٩٥٤ وكذلك الإمام أحمد في المسند رقم ٨٦٨ وصححه الألباني في الجامع برقم ٤٨٨.

إن فصل النحو عن البلاغة أصاب النحو بالعقم وجعل كثيرًا من العلماء يتهمونه باللفظية، بل كثيرًا ما علت أصوات الدارسين يتساءلون ما فائدة حفظ هذه القواعد بهذه الطريقة الجافة؟ وهل تقتصر فائدة النحو على حفظ اللسان عن الخطأ في الإعراب؟

والحق إن هذا السؤال، واجب ومهم في هذا الصدد؛ لأن الهدف من دراسة النحو في الحقيقة أكبر من ذلك بكثير، لأنه ما تقدم خبر على مبتدأ، ولا فاعل أو مفعول على فعل، ولا مفعول على فاعل، ولا تقدم نعت على منعوت، ولا حال على عاملها ولا جاء الاشتغال بأحواله الخمسة، وما استخدم التنازع، ولا عطف على خبر ناسخ أو اسمه إلا لعلة بلاغية ينبغي على كل مشتغل باللغة العربية الوقوف على معرفتها، والإلمام بها ؛ لأن كل قاعدة نحوية لا تنفصل بأية حال عن سياقها، فلكل قاعدة نحوية لها سياق محدد توضع فيه، فلا ينبغي أن تستخدم القواعد النحوية اعتباطاً، وبطريقة عشوائية كما نفعل ،بل يجب أن تخضع القواعد لسياقاتها، وحينئذ نكون جمعنا بين النحو والبلاغة ، أما أن تدرس القواعد النحوية بمعزل عن البلاغة كما نفعل الآن، والبلاغة عن النحو فهذا ما يضير العلمين، ويفقد كل منهما جماله ورونقه وعذوبته، وقد قمت بكتابة هذا البحث؛ استشعارًا منا بخطورة تدريس النحو والبلاغة كل بمعزل عن الآخر، ومما لاشك أن هناك دراسات سابقة تتصل بموضوع البحث قد أفدت منها ،وضمنت بحثي جانبا منها، ومن هذه الدراسات :

١ – النحو والبلاغة، الوظيفة والعلاقة – د. نشأت علي محمود، م. عليا أحمد محمد، مجلة الآداب العدد ١٣٦ لسنة ٢٠١٦ جامعة صلاح الدين كلية اللغات قسم اللغة العربية .

٢ – الصلة بين علم البيان وعلم النحو، رؤية وتطبيق من خلال كتابي

عبد القاهر الجرجاني، مدينة البحث العلمي في الآداب دكتور/ علي ابن محمد آل نومه القحطاني ٢٠٢٠ م .

٣ – النحو والبلاغة علمان أم علم واحد بفرعين، بحث في طبيعة العلاقة بين النحو والبلاغة عند القدماء والمحدثين، الكاتب عبد العليم بو فاتح، من مقال منشور على موقع جوجل .

٤ – صلة النحو بالبلاغة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة والأدب العربي إعداد فراج ظهير، إشراف أ – د محمد بلعيدون ١٤٣٨ – ١٤٣٩ – ٢٠١٦ – ٢٠١٧ م .

وهناك دراسات سابقة تناولت موضوعات نحوية بعينها وكشفت عن علاقتها بالبلاغة منها التعريف والتنكير – دراسة دلالية وظيفية نماذج من الصور المكية رسالة مقدمة من الطالب / نوح عطا الله الصرايرة للحصول على درجة الماجستير جامعة مؤتة ٢٠٠٧م .

التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل دكتور / محمود أحمد نحلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية وغيرها من الدراسات.

وقد جعلت المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج التكاملي؛ نظرا لأن البحث متعدد الجوانب منها التاريخي والبلاغي والنحوي والتحليلي والنقدي، فهو يصلح دون غيره من المناهج لهذا البحث.

خطة البحث :

المقدمة: وفيها عرضت لخطورة الفصل بين النحو والبلاغة، والأسباب الكامنة وراء اختياري لهذا البحث، ومحتويات البحث، **التمهيد:** وفيه عرضت لأقوال بعض العلماء والتي توصى بالربط بين النحو والبلاغة.

الفصل الأول: العلاقة بين النحو والبلاغة فيما قبل التقعيد النحوي، والتنظير البلاغي.

الفصل الثاني: العلاقة بين النحو والبلاغة بعد التقعيد النحوي، والتنظير البلاغي.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها، ثم التوصيات.

فهرس للمراجع :

فهرس الموضوعات :

والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

تمهيد

إن الصلة بين النحو والبلاغة أمر شغل كثيرًا من العلماء قديمًا وحديثًا؛ لما وجدوه من الفصل المقيت بين النحو والبلاغة، وما رأوه من جفاف القواعد النحوية، إذ كانت تدرس بمعزل عن البلاغة ، فوظيفة النحوي يبحث في دلالة الألفاظ على المعاني، أما البلاغي فهو يبحث عن العلة وراء مجيء القاعدة على هذه الطريقة ويرشد إلى السياق الذي ينبغي أن توضع فيه هذه القاعدة ، فهما فرعان لجذر واحد لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر ، فالنحو يذكر لنا القاعدة ، فيذكر لنا على سبيل المثال تقديم المفعول على الفاعل ، في كل أحواله وجوبًا وجوازًا، ويتقدم الحال على عاملها أو صاحبها ، أو يستخدم النحوي أداة شرط معينة، أو أداة نفي كما ولا ولم .... إلخ، وتأتى البلاغة؛ لتكشف عن العلل الكامنة خلف استخدام هذه القواعد فلا ينبغي حفظ قواعد النحو، وتطبيقها إعرابيًّا دون معرفة توظيف هذه القواعد التوظيف الأمثل فـ " ما الفرق بين التعليل باللام، وكي أهناك فرق في المعنى بين قولك: (جئت لأستفيد " وجئت (كي أستفيد أم هما بمعنى واحد) .

قال تعالى: ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [1] فجاء بالتعليل الأول بكى (كي تقر) والثاني باللام لتعلم فلما كان ذاك " [2]

فحين نعلم لماذا جاء التنزيل الحكيم في الآية الكريمة باللام مرة، وبكى مرة أخرى، وعلمنا أن هناك علة بلاغية من وراء ذلك نكون قد مزجنا النحو بالبلاغة، وجعلنا العلمين علمًا واحدًا .

---

(١) سورة القصص آية ١٣)

(٢) معاني النحو، در فاضل السامرائي ج١ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ص ٦

فمما ينبغي العلم به أن كل قاعدة نحوية جاءت لعلة بلاغية، ينبغي على المنشغلين باللغة العربية الإلمام بها، والوقوف على معرفتها، وهنا تكمن حلقة الوصل بين النحو والبلاغة في تقديري المتواضع.

إن هناك فرقًا لا شك في ذلك في استخدام حروف التعليل المختلفة ففي قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (١) .

استخدم اللام، وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (٢) استخدم الباء، وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٣) استخدم حرف الجر من وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ (٤) استخدم حرف الجر عن، (٥) فليس استخدام هذه الحروف استخداما عشوائيا بل مقصود بالطبع بلاغيًا وأسلوبيا .

ألم يسأل لغوي نفسه لماذا حذف الحق سبحانه وتعالى الياء في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾(٦) ولما ذكرت في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي ۖ هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ﴾(٧)، ولما حذفت أيضًا في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ

(١) سورة هود الآية ١١٨، ١١٩
(٢) سورة البقرة الآية ١٠
(٣) سورة الأنعام الآية ١٥٩
(٤) سورة التوبة الآية ١١٤
(٥) معاني النحو ص ٦ بتصرف
(٦) سورة الكهف الآية ٦٤
(٧) سورة يوسف الآية ٦٥

﴿ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ [1] دون جازم أيضًا ولم تحذف في قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ [2] .

فقد ترك القرآن الكريم في بعض الآيات القاعدة النحوية لأمر طلبه السياق فالقاعدة النحوية تأتى لعلة، وترك القاعدة أيضًا يأتي لعلة فكل القواعد النحوية لها معانيها، ولها عللها النحوية، فإذا مزجنا بينهما أخرجنا النحو من دائرة العقم والجفاف إلى حيز المرونة والخصوبة، وحينئذ يبقى النحو طوعًا لينا غير متجهم ولا شاخص في وجه البلاغة، فقد جعل السابقون البلاغة والنحو كلا واحدًا وجاءت الموضوعات في كتبهم نحوية بلاغية، ومن هؤلاء ابن جنى والخليل وسيبويه والمبرد، وابن يعيش، وخالد الأزهري وغيرهم.

ولكن لا نستطيع الإنكار بأن كثيرًا من العلماء جاءوا في كتبهم بقواعد نحوية فقط وهناك من كتب البلاغة ما اختص بالبلاغة فقط، وصار كل تخصص يغرد خارج سرب الآخر، وأضحى كل حزب بما لديهم فرحون والحق إن جعل النحو في جانب والبلاغة في جانب أضر كثيرًا باللغة العربية، وأضير النحو لما كان بمعزل عن البلاغة، فقد قدمت قواعده للدارسين بطريقة جامدة كما نراها الآن جعلت الدارسين ينفرون منها ويستثقلونها، واكتفي كثير منهم بأن يحفظ القواعد من أجل الاختبار فقط فهلا وصلنا بينهما في دراستنا الحالية وجعلناهم علمًا واحدًا !! هذا ما أطمع إليه وأرجوه .

---

(١) سورة هود الآية ١٠٥ .

(٢) سورة الأنعام الآية ١٥٨ .

الفصل الأول

العلاقة بين النحو والبلاغة قبل التقعيد النحوي والتنظير البلاغي

إن من السذاجة بمكان أن تدرس البلاغة بمعزل عن النحو في كل العصور، فقد وجدت العلاقة بين العلمين منذ قديم.

" فإن سمة صلة جلية لا سبيل لإنكارها بين النحو والبلاغة، وهما علمان يكمل كل منهما الآخر، وهذا التكامل تكامل بين التراكيب ومعانيها " (١) .

ففي العصر الجاهلي كان الشعراء يحتكمون إلى أحد خبرائهم في الشعر، ومن هؤلاء الخبراء النابغة الذبياني، والذي ضربت له قبة في السوق؛ ليكون حكمًا بين الشعراء فاحتكم إليه حسان بن ثابت والخنساء، وقال حسان بيته الشهير :

لنـــا الجفنـــات الغـــر يلمعـــن بالضـــحى

وأسيافنا يقطـــرن مـــن نجـــدة دمـــا (٢)

عاب النابغة على حسان ذلك وقال له: " يا بني إنك قلت لنا: الجفنات فقللت عددك، وقلت: يلمعن بالضحى ولو قلت في الدجى لكان أفخر" (٣) .

فقد تنبه النابغة لجموع القلة والكثرة، وهو موضوع لا شك في

---

(١) النحو والبلاغة علمان أم علم واحد بفرعين، بحث في طبيعة العلاقة بين النحو والبلاغة عند القدماء والحدثين، الكاتب عبد العليم بو فاتح مقال منشور على موقع جوجل .

(٢) ديوان حسان بن ثابت حققه وعلق عليه د/ وليد عرفات أستاذ العربية والإسلامية بجامعة لانكسترا، دار صادر بيروت الجزء الأول ص ٣٥.

(٣) غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب، تأليف الشيخ الإمام محمد السفاريني الحنبلي صـــ١٧٥. د. ت

اختصاص النحو والصرف به، لكن النابغة عاب على حسان عدم توظيفه للجمع التوظيف الأمثل لخدمة السياق فالبيت معيب، لأن الشاعر استخدم الجمع في غير سياقه، فقد رأي النابغة أن السياق في هذا الصدد يتطلب جمع الكثرة، إذ إن السياق سياق فخر تخويف، وبث رهبة في قلب العدو، وذلك يحتاج إلى تكثير ومبالغة .

وهنا عيب على حسان؛ إذ جاء بجمع قلة في سياق يستدعى الكثرة مما أخل ببلاغة البيت، فهذه أولى عبارات النقد وجد فيها الربط بين النحو والبلاغة، إلا أن هذا الربط لم يكن مقصودًا، إذ لم يقعد للنحو، ولم ينظر للبلاغة إلا بعد العصر الإسلامي .

وقد كان العرب بفطرتهم اللغوية السليمة، يوظفون مخالفتهم للقواعد النحوية لأغراض بلاغية دون علمهم بهذه القواعد إذ لم يقعد للنحو، ولم ينظر للبلاغة بل كان ذلك على فطرتهم السليمة التي مكنتهم من صنوف الكلام فتارة يأتون بكلامهم على القياس وأخرى يتركون هذا القياس حسبما طلب السياق والمقام ذلك وذلك لغرض ببلاغي، وإن جاء ذلك منهم عفو الخاطر فقد صرف امرؤ القيس الممنوع من الصرف في قوله :

تبصرا خليلي هــل تــرى مــن ظعــائن

تحملن بالعليــاء مــن فــوق جــرثم [١]

وسارع النحويون بالحكم على البيت فقالوا إن هذا من الضرورة قال ابن عقيل : " يجوز في الضرورة صرف ما لا ينصرف " وذلك كقوله تبصرا خليلي هل ترى من ظعائن " [٢] .

فالنحويون يرون أن هذا للضرورة الشعرية والحق إن العلة من وراء

---

(١) ديوان زهير بن أبي سلمي، دار صادر بيروت ص ٧٦ د . ت .

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، للصف الثالث الثانوي، لجنة إعداد وتطوير المناهج بالأزهر الشريف ١٤٤١ – ١٤٤٢هـ – ٢٠٢٠ – ٢٠٢١ م ص ١٥٢ .

ذلك في تقديري المتواضع أعمق من ذلك بكثير، فإن كانت الضرورة الشعرية ألحت على الشاعر، فإن ضرورة المقام الذي قيل فيه البيت أشد إلحاحًا، فقد صرف امرؤ القيس الممنوع من الصرف استجابة لأزمة نفسية عميقة على محبوبته فمصيبته فيها عظيمة، وفجيعته فيها كبيرة حتى جعله ذلك يستغيث الأخلاء، لينظروا في الأمر سائلا لهم هل هناك فوق هذا المكان العالي ظعينة.

وهنا جاء التنوين المجرور؛ لينتهي عروض البيت بساكن بدلاً من الفتحة، ليدل ذلك على هول الفجيعة، والأسى والحسرة التي انتابت الشاعر، ففي السكون يكمن الألم والحسرة .

فقد ترك الشاعر ما كان مقيسًا في كلامهم إلى غير المقيس لغرض بلاغي اقتضاه منه السياق وتلك هي الصلة العميقة بين النحو والبلاغة في العصر الجاهلي، ومن ذلك أيضًا ما جاء في نصب المضارع المرفوع دون ناصب وذلك لعلة بلاغية قول طرفة بن العبد :

ألا أيهـــذا الزاجـــري أحضـــر الـــوغى

وأن أشهد اللذات هل أنـــت مخلـــدي (١)

" في رواية من نصب (أحضر)، أي أن أحضر " (٢) .

فقد ذكر النحويون روايتين في (أحضر) الرفع والنصب، والذي يترجح عندي هي رواية النصب، لأن السياق هنا يطلب العدول من الرفع إلى النصب ليتواءم مع المقام الذي قيل فيه البيت، فالمقام هنا مقام إنكار، حيث صب طرفة على مخاطبه سياط لومه، إذ يحثه مخاطبه على الإحجام عن

---

(١) ديوان طرفه بن العبد شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت لبنان سنة ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢ م ص ٢٥ .

(٢) شرح بن عقيل ص ١٥٣ .

القتال، ويأمره بالقعود، فيقول له طرفه : هل تضمن لي الخلود، ودوام البقاء إذا أحجمت عن القتال ومنازلة الأقران، فقد رأينا كيف واءم شعراء العصر الجاهلي بين النحو والبلاغة، فهم يعلمون جيدًا متى يأتون بكلامهم على القياس ومتى يخالفون هذا القياس، وقد أخضعوا ذلك لعلل اقتضاها المقام، وطلبها السياق .

فقد كان العرب في العصر الجاهلي أمة فصيحة بليغة يتكلمون سليقة، ليس لهم قواعد يتبعونها في حديثهم، وكان حبهم لهذه اللغة كبيراً جدًّا [١]، وكانت غايتهم هي بلوغ المتكلم مراده.... إلخ " [٢] .

وهنا بيت القصيد كما يقولون، فإن المهم في الأمر أن يبلغ المتكلم مراده وافق كلامه القياس الذي سار القوم عليه، أم خالف هذا القياس.

فهم " كانوا ذوي درجة رفيعة من البلاغة والبيان، ويظهر ذلك جليا، فيما قدموه، وفيما وصلنا من دواوين الشعراء " [٣]

فقد مزج العرب في العصر الجاهلي بين النحو والبلاغة وزاوجوا بينهما في خدمة السياق فمتى طلب السياق شيئًا طوعوا اللغة له.

وجاء العصر الإسلامي، ليطل بوجهه المضيء على العالم أجمع، وجاء القرآن الكريم متحديًا بفصاحته وبلاغته البشرية جمعاء واحتوت آياته على الفصاحة والبيان، وهنا رأي العرب" أن بلاغة القرآن أمر يدرك، ولا يعلل، يحس ولا يوصف شيء كالنغم، يسرى على النفس، ويستقر في أعماقها، دون أن تكون لنا القدرة على تحديده وإيضاحه " [٤] .

---

(١) كلمة كبيرًا جاءت في نص المؤلف كبير بالرفع، وقد قمت بتصويبها، لأنها خبر كان.

(٢) صلة النحو بالبلاغة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة والأدب العربي، إعداد فراح طهير، إشراف أ بلعيدونى ١٤٣٨هـ ١٤٣٩هـ ٢٠١٦ ص ٢٤ .

(٣) صلة النحو بالبلاغة ص ٢٦ .

(٤) صلة النحو بالبلاغة ص ٢٨ مرجع سابق .

جاء القرآن الكريم مازجًا بين النحو والبلاغة ، وخضعت كل القواعد النحوية للبلاغة فيه ، فكان نموذجًا يحتذى به في المزج بين النحو والبلاغة، فقد أصبحت القواعد النحوية في القرآن الكريم طائعة مرنة مستجيبة لكل ما تمليه عليها البلاغة فيترك المنصوب ويعدل عنه إلى الرفع ويؤخر ما حقه التقديم، ويستخدم، حرف جر مكان آخر، ويحذف حرف العلة من المضارع دون جازم ... الخ، فخلاصة الأمر أن القواعد النحوية دائمًا ما تستجيب لما تمليه عليها البلاغة، ففي آيات كثيرة عدل القرآن الكريم عن الثوابت النحوية، ففي قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [1] جاءت كلمة الصابرين منصوبة بفعل محذوف تقديره أمدح بالرغم من تقدم معطوف عليه مرفوع وذلك؛ ليوحي بعظيم أجر الصابرين ، ويلفت الانتباه لأهمية هذه الصفة؛ ليتمثلها الناس في حياتهم، فقد جاءت الآية القرآنية بالمعطوف على غير المعهود في قاعدة العطف، لأن البلاغة القرآنية اقتضت ذلك .

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [2] .

فقد جاء الفعل لا يضركم ، مضموم الراء بالرغم من أنه مجزوم؛ لأنه وقع جواب الشرط ، وقال النحويون كلاماً في إعراب هذا الفعل أصفه بغير

(١) سورة البقرة الآية ١٧٧ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٨٦ .

الموضوعي، وغير المتوازن، إذ يقولون: إن الراء حركت إتباعًا لحركة الضاد ولم يشيروا إلى علة هذا الإتباع، ولماذا لم يفك التضعيف ويصبح الفعل بسكونه كالمألوف، ثم إن الحق جل وعلا لو أراد تخفيفاً في النطق لأتى به مفتوحًا كما في قوله تعالى : ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ﴾ (١) .

والحق إن القرآن الكريم عدل عن السكون إلى الضم في الفعل يضركم لغرض بلاغي وهو : أن الضم أقوى من الفتح ، وذلك يتواءم وطبيعة السياق الذي جاء فيه الفعل، إذ مع الصبر والتقوى النجاة المحققة، فبالرغم من أن الأمر ليس بالهين اليسير إلا أنه مع التقوى والصبر يهون كل شيء، ويلين كل صلب، ويسهل كل عسير، فلا شك أن ضم الفعل فيه مبالغة في النتيجة المرجوة من الصبر من ناحية، وفيه إشارة أنه مهما كان حجم المكر والكيد الضرر فإنه مع التقوى والصبر لا يكون من ضرر وهذا في تقديري المتواضع، فقد ترك القرآن الكريم القاعدة النحوية؛ لأن السياق اقتضى ذلك، وذلك هو عين المزج بين النحو والبلاغة.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٢) .

فقد رفعت (الصائبون) بالرغم من عطفها على منصوب، وذلك لإثارة انتباههم، وأهمية المذكور، فقد كان العرب أهل فصاحة وبيان فإذا تركت

(١) سورة البقرة الآية ٢٣٣ .

(٢) المائدة الآية ٦٩.

القاعدة، وعدل عنها إلى سياق آخر سرعان ما انتبه القوم، وأطرقوا آذانهم لتلقى الأمر، وسماع الخبر؛ لذا عمد القرآن الكريم للعدول عن القاعدة المطروقة إلى قاعدة أخرى؛ ليحفز الأذهان، ويثير الانتباه ومن ترك القاعدة النحوية لغرض بلاغي ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾ (١) .

فقد اجتمع فاعلان لفعل واحد على غير القاعدة المعروفة، إذ إن القاعدة تقر بفاعل واحد ، فقد جاء الفاعل الأول (واو الجماعة) في " عموا وصموا (ولفظ كثير) وما كان ذلك إلا إمعاناً في تقريعهم، ومبالغة في ذمهم ومن المزج بين النحو والبلاغة ما جاء في قوله تعالى :﴿ يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ ﴾ فقد حذف حرف العلة من " يأت " دون تقدم جازم ، وذلك لعلة بلاغية وهي : الدلالة على سرعة مجيء اليوم فهو ليس بالبعيد، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن في حذف العلة دلالة على أن هذا اليوم لا يكون فيه كلام مع أي نفس، فقلة مبنى الفعل تتواءم مع طبيعة السياق الذي يفيد أنه ليس هناك كلام مع أي نفس، ومن حذف حرف العلة دون جازم ما جاء في قوله تعالى { ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ } وقد ذكر العلماء أن الحذف كان لمراعاة التناسب ، ومنهم من قال تخفيفاً إلا أنني أرى أن ذلك الحذف يتواءم والحالة النفسية التي كان عليها موسى – عليه السلام– المتعطشة لرؤية الخضر – عليه السلام– ؛ ولذلك جاءت الفاء بعدها مباشرة للدلالة على التعقيب، فحينما علم موسى بمكان نسيان الحوت سرعان ما ارتد إلى المكان، فهذا السياق لا شك في أنه يستلزم الحذف والاختصار ولا يستلزم التطويل والإطناب ؛ لذا كان الحذف في مكانه اللائق به .

---

(١) المائدة الآية ٧١.

ولم يكن الصرف بمعزل عن البلاغة في القرآن الكريم بل تجد الصرف قد امتزج بالبلاغة في كثير من الآيات القرآنية ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ** ﴾ (١) فقد صحت الواو بعدم قلبها ياء على القياس كما قلبت في (الدنيا) وذلك لعلة بلاغية إذ إن الصعود فيه عناء ومشقة وليس ذلك في الدنو؛ لذا صحت الواو لتتناسب مع المقام الصعب إذ الياء تكون في موطن اليسر والسهولة، والحق إن هذا في القرآن الكريم كثير جدًّا، فهو خير من مزج النحو بالبلاغة على مر العصور لا يضاهيه في ذلك مضاه، ولا يجاريه في ذلك مجار وما السنة النبوية الشريفة بمنأى عن أثر العلمين كل على الآخر، ومن ذلك ما جاء في السنة النبوية المطهرة قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم " إن من أشد الناس عذابًا يوم القيامة المصورون " (٢) .

فالمصورون اسم إن، والقياس في ذلك النصب، وقد جاء لفظ المصورون) مرفوعًا في مخالفة للقاعدة لعلة بلاغية .

فبالرغم من أن بعض النحويين تأولوا اسم إن ضمير الشأن محذوف إلا أنني لا أقرهم على ذلك، إذ إن السياق اقتضى هنا أن يكون اسم إن مرفوعاً إمعاناً في العذاب، إذ إن الواو أقوى من الياء، وهذا يتناسب مع شدة العذاب الذي ينتظر المصورين .

وصار الأمر على هذا النحو في المزج البلاغي النحوي قبل التنظير البلاغي، والتقعيد النحوي حتى القرن الثالث الهجري حتى جاء التنظير البلاغي، والتقعيد النحوي بعد هذا التاريخ وهذا ما سأعرض له بالتفصيل في الفصل القادم إن شاء الله تعالي .

---

(١) الأنفال الآية ٤٢.

(٢) إخراجه البخاري في صحيحه رقم ٥٩٥٠ ومسلم ٢٠٠٩ باختلاف يسير .

الفصل الثاني

العلاقة بين النحو البلاغة بعد التقعيد النحوي، والتنظير البلاغي

لكل من علم النحو وعلم البلاغة وظيفة لا تنفصل إحداهما عن الأخرى " فإذا كانت البلاغة هي تأدية المعنى الجليل واضحًا بعبارة صحيحة فصيحة لها في النفس أثر خلاب مع ملائمة كل كلام للموطن الذي يقال فيه، والأشخاص الذين يخاطبون فليست البلاغة قبل كل شيء إلا فناً من الفنون" (١) .

أما النحو فهو "أن تنحو معرفة كيفية التركيب فيما بين العلم لتأدية أصل المعنى مطلقًا بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب، وقوانين مبنية عليها، ليحترز بها عن الخطأ في التركيب ..... الخ" (٢) .

فمن خلال التعريفين السابقين يتبين لنا أن النحو والبلاغة يكمل كل منهما الآخر، يأتي النحو بالقواعد، وتأتى البلاغة لتكشف لنا عن أسرار الجمال الكامنة في التعبير بهذه القواعد، وذلك ما يجعل النحو يقدم لطلاب العلم بطريقة تتسم بالمرونة والجمال، يقبل الطلاب عليه في شغف إذ سكب عليه ما يذهب جفافه وجموده، ويضفي عليه قيمة فنية وجمالا، ويجعل النحو أكثر قربًا من المتحدثين بالفصحى، وتجعلهم يختارون قواعدهم النحوية وفق السياق المطلوب، وما يقتضيه المقام وبهذا نكون قد وصلنا إلى الغاية المرجوة من دراسة النحو .

والحق إن المزج بين النحو والبلاغة موجود منذ أول العهد بالتأليف، فقد

---

(١) البلاغة الواضحة، على الجارم، ومصطفي أمين، المكتبة الوقفية ط ٣، ٢٠٠٣ ص ١٠ .

(٢) مفتاح العلوم لأبى يعقوب يوسف ابن أبى محمد بن على السكاكي، تحقيق نعيم دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط ٢، ١٩٨٧ ص ٧٥ .

وجدنا كثيرًا من العلماء الأفذاذ الأوائل الذين قعدوا للنحو كالكتاب لسيبويه، أو شرح المفصل لابن يعيش، أو التصريح بمضمون التوضيح لخالد الأزهري ربطوا بين القواعد النحوية، وبين السياق ، فذكروا لنا القاعدة، ثم ذكروا السياق الذي ينبغي أن تكون فيه، وما علماء البلاغة الأوائل من ذلك ببعيد، فقد كانت القواعد النحوية جزءًا أصيلاً في أمهات الكتب البلاغية ومن ذلك كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، وكذلك المثل السائر لابن الأثير، ومفتاح البلاغة للسكاكي وغيره، فلم يفصل العلماء الأوائل الذين بدأوا التقعيد والتنظير بين البلاغة والنحو في كتبهم إلا قليلا منهم وإن كان هذا الفصل قد لاقى شيئًا من القبول بعد ذلك ، فقد وجدنا كثيرًا من الكتب شرحت ألفية ابن مالك، ولم تذكر لنا شيئًا عن البلاغة مثل كتاب أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام الأنصاري، أو كتاب شرح الأشموني، أو كتاب شرح ابن عقيل وغير ذلك من الكتب ولو وصل هؤلاء بين النحو والبلاغة في كتبهم لخطونا في هذا الأمر خطوات واسعة، ولكن لعظيم الأسف لم يجمع هؤلاء العلماء الأجلاء بين النحو والبلاغة، وجعلوا كتبهم قاصرة على النحو فقط مما أتاح الفرصة لمن أتى بعدهم أن يجعلوا هذا نهجًا متبعًا، وسنة حسنة وهذا ولعظيم الأسف من أعظم ما ابتليت به اللغة العربية .

إن القارئ لكتاب سيبويه يجد ومن أول وهلة الربط الوثيق في الكتاب بين النحو والبلاغة مقتدياً في ذلك بشيخه وأستاذه العلامة الخليل ابن أحمد الفراهيدي، فقد تنبه العلامة الخليل بن أحمد بفكره الثاقب إلى أهمية استخدام القواعد في سياقاتها المحددة قال سيبويه: " أما قد فجواب لقوله: لما يفعل فيقول: قد فعل وزعم الخليل أن هذا الكلام لقوم ينتظرون الخبر " [١] .

---

(١) الكتاب لسيبويه أبى بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، جـ ٤، ١٤٠ – ١٩٨٢، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار الرفاعي بالرياض ص ٢٢٣ .

فإن الخليل حدد لنا السياق الذي تذكر فيه قد، وهو وقت انتظار الخبر، فليس لنا أن نستخدم قد في أي سياق حين نعبر بها، بل لها وقت معين وسياق محدد، والحق إن الخليل كثيرا ما ربط بين القواعد النحوية والبلاغة، ونقل ذلك عنه سيبويه في الكتاب.

وهذا تلميذة سيبويه الذي ضمن كتابه (الكتاب) كثيرًا من النكات البلاغية، فقد كان رحمه الله تلميذاً وفيًّا سخيًّا لأستاذه جاد له بكل ما يملك، فتبنى آراءه، وفكره، وأضاف إلى أراء أستاذه ما تيسر له.

ومن الربط بين النحو والبلاغة في كتابه ما جاء به في تقديم الظرف أو الاسم إذ يقول " والتقديم ههنا والتأخير (فيما يكون ظرفًا أو يكون اسما في العناية والاهتمام فيما ذكرت لك ... الخ [١]

فإن الملاحظ في قول سيبويه أن تقديم الظرف أو الاسم يكون للعناية والاهتمام، فلم يكن التقديم للظرف أو الجار والمجرور أو أي اسم في القاعدة النحوية عشوائيًّا ودون سبب بل إنما يكون ذلك التقديم لعلة بلاغية وهو العناية والاهتمام أو أي غرض آخر، وهذا ربط وثيق بين علم المعاني وبين القواعد النحوية .

ومن المزج النحوي البلاغي في الكتاب لسيبويه قوله : " هذا باب ما يكون فيه المصدر حيناً لسعة الكلام والاختصار وذلك قولك: متى سير عليه فيقول: مقدم الحاج، وخفوق النجم، وخلافة فلان، وصلاة العصر، فإنما هو زمن مقدم الحاج، وحين حقوق النجم، ولكنه على سعة الكلام والاختصار " [٢] .

فإذا أراد المتحدث البليغ أن يتوسع في الكلام، وفي الوقت نفسه يوجز

---

(١) الكتاب لسيبويه ص ٥٦ .

(٢) نفسه ص ٢٢٢ .

ويختصر فإنه يأتي بالمصدر فيقول: آتيك خفوق النجم أي وقت خفوق النجم، فقد أوجز المتحدث بحذف كلمة وقت، وتوسع في الكلام فإذا أراد المتحدث أن يخبر مخاطبه على سبيل المثال بأن مجيئه وقت خفوق النجم قال له: أجيئك وقت خفوق النجم، وفي الوقت نفسه يجوز أن يقول في السياق ذاته: أجيئك خفوق النجم وهذا من باب التوسع في الكلام .

فسيبويه ذكر لنا فيما سبق العلة من التعبير بالمصدر في بعض أحواله، فهو قد يكون للسعة واختصار الكلام، وهذا مما لا شك فيه أمر نحوي بلاغي

ومن الذين مزجوا بين النحو والبلاغة ابن يعيش في كتابه شرح المفصل، فعندما تكلم على سبيل المثال عن حذف الصلة جعل في حذفها مبالغة عظيمة وخطورة كبيرة فهو يقول " والثاني كقولهم : بعد اللتيا والتي أي بعد الخطة التي من فظاعة شأنها كيت وكيت ، وإنما حذفوا ليوهموا أنها بلغت من الشدة مبلغاً تقاصرت العبارة عن كنهه " (١) تأمل أيها القارئ الكريم ماذا قال ابن يعيش عن حذف الصلة ؟ قال: إنها بلغت من الشدة مبلغاً تقاصرت عن العبارة، وكأن الأمر فوق الوصف، لا يستطيع عاقل أن يقدر خطورة الأمر، وفظاعته ، فقد بلغ الأمر مبلغًا عظيمًا ، فقد جاءت كل هذه المعاني التي توحى بأن الأمر عظيم نتيجة حذف الصلة .

وفي السياق ذاته يرى ابن يعيش أنه يجوز حذف العائد المنصوب إذا كان ضميرًا متصلا، ولا يجوز حذف إذا كان ضميرًا منفصلاً فيقول: في قول الشاعر :

مـــا الله موليـــك فضـــل فاحمدنـــه بـــه

فمـــا لـــدى غيـــره نفـــع ولا ضـــرر

(١) شرح المفصل، لموفق الدين يعيش، عنيت بطبعه، ونشره بأمر المشيخة، إدارة الطباعة المنيرية ص ١٧٢.

" ما موصول اسمي في موضع رفع على الابتداء وفضل خبره، والله موليك صلة ما، والعائد محذوف منصوب بالوصف، والتقدير، والذي موليكه فضل، بخلاف جاء الذي إياه أكرمت؛ لأنه منفصل، وحذفه يوقع في إلباسه بالمتصل، ومفوت لما قصد به من التخصيص عند البيانيين والاهتمام عند النحويين (١) .

فإن ابن يعيش يرى أن حذف الضمير المنفصل (إياه) من المثال يفيت التخصيص والاهتمام ولا شك في أن هذين الأمرين من الموضوعات البلاغية.

– ولعل القارئ الكريم يرى وبكل وضوح كيف مزج ابن يعيش بين النحو والبلاغة – ، فحذف الصلة يكشف عن هول الأمر وفظاعته، وحذف الضمير المنفصل يفيد التخصيص والاهتمام فلم يأت ابن يعيش بالقواعد النحوية جافة عقيمة بل أتى بالقاعدة ثم كشف عن معنى القاعدة، وهذا الكشف هو البلاغة الموجودة في القاعدة، ففي سياق حديثه عن وجوب تقديم الفاعل على المفعول يذكر لنا ابن يعيش من هذه الأحوال الحصر بإنما، وهذا الحصر وإن كان في الأصل موضوع نحوي إلا أن البلاغة تشاركه في هذا الموضوع تحت مسمى القصر وطريقه إنما، فقد كشفت البلاغة عن معنى القصر إذا كانت أداته إنما ، وكشف النحو عن المعنى إذا كان الحصر بإنما ، فقد جمع ابن يعيش بين الفنين النحو والبلاغة فيقول في هذا الصدد :

" **المسألة الثانية** من مسائل وجوب تقديم الفاعل على المفعول أن يحصر المفعول بإنما نحو إنما ضرب زيد عمرا، فيجب تقديم الفاعل على المفعول اتفاقًا لأنه لو أخر انقلب المعنى، وذلك لأن معنى قولنا إنما ضرب زيد عمرا انحصار ضرب زيد في عمر مع جواز أن يكون عمرو مضروبًا

(١) شرح المفصل لابن يعيش ص ١٧٤ .

لشخص آخر فإذا أخر وقيل إنما ضرب عمرا زيد جاز أن يكون زيد ضاربًا لشخص آخر ولم يجز أن يكون عمرو مضروباً لشخص آخر " (١) .

فتقديم الفاعل على المفعول المحصور أمر واجب نحويًّا، ولكن هذا الوجوب نتج عن المعنى فلو أخر الفاعل عن المفعول المحصور وقدم المفعول لتغير المعنى وهذا سر جمال الحصر والقصر، فلو لم نلتزم بالقاعدة لتغير المعنى، فحين تقرر هذه الفكرة في كتبنا النحوية نكون قد وصلنا إلى الغاية المرجوة وهي: أنه حينما نأتي بقاعدة نحوية تكون القاعدة تابعة للمعنى وهذا ما قرره السابقون في كتبهم كما وضحت ذلك آنفا. وهذا كتاب " التصريح بمضمون التوضيح " الذي كثيرًا ما ربط بين القاعدة والمقام الذي يطلب هذه القاعدة أو تلك ، فيذكر لنا في وجوب تأخير الخبر مسائل عديدة " إحداها أن يخاف التباسه بالمبتدأ وذلك إذا كانا معرفتين، أو نكرتين متساويتين في التخصص، ولا قرينة تميز أحدهما عن الآخر، فالمعرفتان نحو زيد أخوك، فإن كلا من هذين الجزأين صالح لأن يخبر عنه بالآخر، ويختلف المعنى باختلاف الغرض ، فإذا عرف السامع زيدًا بعينه واسمه ولا يعرف المخاطب اتصافه بأنه أخو المخاطب وأردت أن تعرفه ذلك قلت زيد أخوك، ولا يصح أن تقول أخوك زيد " (٢) .

لينظر القارئ الكريم إلى معنى ما يقوله التصريح من أنه إذا كان المبتدأ والخبر معرفتين وكل منهما صالح لأن يكون مبتدأ وخبر، وخيف التباس أحدهما بالآخر وجب تقديم المبتدأ، إلا أنه ربط بين هذا التقديم والمقام الذي

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش ص ٤١٣ .

(٢) شرح التصريح على التوضيح، أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو للشيخ خالد ابن عبد الله الأزهري، تحقيق محمد باسل عيون السود جـ ١ منشورات محمد على بمضمون د الكتب العلمية بيروت لبنان ص ٢١٣ .

قيل فيه، والسياق الذي طلب هذا التقديم ففي قولنا: زيد أخوك وجب تقديم المبتدأ على الخبر إذا أريد زيد بعينه واسمه ويجهل المخاطب أنه أخوه، ففي هذه الحالة وجب تقديم المبتدأ على الخبر.

فقد مزج كتاب التصريح بين القاعدة النحوية وبين البلاغة، ، وليس كتاب الخصائص للعلامة ابن جنى بمعزل عن هذا المزج النحوي البلاغي في كتابه بل مزج بين هذين العلمين في كتابه وبين علوم كثيرة في هذا الكتاب ولكن نكتفي من الكتاب بما يتواءم وموضوع البحث فقط.

فحينما تكلم ابن جنى في كتابه الخصائص عن قاعدة المصدر، ورأي أن في الوصف به قاعدة بلاغية مهمة وهي : المبالغة وجعل منه قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا ﴾[1] أي غائراً يقول ابن جنى : " وما كان مثله من قبل أن من وصف بالمصدر فقال هذا رجل زور وصوم ونحو ذلك فإنما ساغ ذلك له لأنه أراد المبالغة ، وأن يجعله هو نفس الحدث لكثرة ذلك منه " [2]

ولا يزال ابن جنى يلح على هذه الجزئية فيتقدم خطوة للأمام فيرى أن الوصف بالمصدر يجعل الموصوف جزءًا أصيلاً من الفعل، بل يجعله مخلوقًا منه فإذا وصف بالمصدر " صار الموصوف كأنه في الحقيقة مخلوق من ذلك الفعل، وذلك لكثرة تعاطيه له، واعتياده إياه "[3] ويكمل ابن جنى قائلاً : " وأصل هذا الباب عند قول الله عز وجل [4]: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ

(١) سورة الملك الآية ٣٠

(٢) الخصائص لأبى الفتح عثمان ابن جني، تحقيق محمد على النجار، الأستاذ بكلية اللغة العربية جـ ٣ المكتبة الوقفية جـ ٣ ص ١٨٩ .

(٣) نفسه ص ٢٥٩ .

(٤) الخصائص ص ٢٦٠ .

عَجَلٍ ﴾ (١) .

فابن جنى حينما تكلم عن قاعدة الوصف بالمصدر، رأي في ذلك أنها مزية، وأنها مبالغة في الفعل، بل يجعل الموصوف مخلوقًا من الفعل، ولا يخفي ما في ذلك من عظيم المبالغة مستشهدًا في ذلك بالآية الكريمة، فالآية الكريمة جعلت الإنسان مبالغة في وصفه بالعجل مخلوقًا منه فعلى غير القياس يجعل ابن جنى للوصف بالمصدر مزية على غيره معارضًا في ذلك جمهورًا عريضًا من النحويين.

وإذا كان علماء النحو أتوا في كتبهم بقواعد بلاغية مهمة، وكثيرًا ما ربطوا القواعد النحوية بالبلاغة في كتبهم، فإن السابقين الأولين الذين بدأوا التنظير للبلاغة كالإمام عبد القاهر الجرجاني وابن الأثير والقزويني وغيرهم كانوا أشد من النحويين وصلاً بين النحو والبلاغة، فهذا العلامة عبد القاهر الجرجاني والذي نظر للبلاغة بطريقة منهجية في تقديري لم يخل موضوع من موضوعات الكتاب تقريبًا من النحو، بل جعل الرجل النحو جزءًا أصيلاً من الكتاب، فنراه يذكر القاعدة النحوية ثم يذكر المعنى البلاغي لهذه القاعدة، بل نراه يذكر السياق البلاغي الذي توضع فيه البلاغة، وأنها لو استخدمت في غير هذا السياق صارت خطأ .

والحق إن الإمام عبد القاهر فصل القول في هذا تفصيلاً كبيرًا، ونظر إلى الموضوع نظرة جديدة تتسم بالحكمة والعمق " فقد كان الإمام عبد القاهر نحويًّا، وكان الارتباط القوى بين النحو واللغة التي تتكون من مجموعة ألفاظ من الأسباب التي دعت إلى اتهام النحو باللفظية، حيث أغفل أصحاب هذه التهمة القيمة النحوية في أداء المعنى، ومساندة اللغة على الإفصاح عن دلالاتها بوجه منظم، وقد انتفع عبد القاهر في نظرية النظم بما تراء ى له

(١) سورة الأنبياء الآية ٣٧ .

من صلة المنطق باللغة من ناحية، ومن صلة المنطق بالنحو ..... الخ [١]

فالإمام عبد القاهر خير من وصل النحو بالبلاغة في كتابه دلائل الإعجاز من خلال ربط القاعدة بالمعنى " فهو فارس الاتجاه النحوي في بناء الأسلوب الأدبي وتقدير نواحي الجمال فيه على أساس النحو فقط كما رأينا في دلائل الإعجاز ..... [٢]

والحق إن أكثر كتاب دلائل الإعجاز قواعد نحوية استطاع الإمام عبد القاهر بفكره الثاقب أن يلبسه ثوبا قشيبًا من البلاغة، فبحث عن العلل الكامنة من خلف هذه القواعد، ففي سياق حديثه حول تقديم الفاعل على الفعل يذكر لنا: أن تقديم الفاعل على الفعل لم يكن اعتباطًا بل جاء ذلك لعلة بلاغية يقول الإمام عبد القاهر: " فإذا قلت: " أنت فعلت ذاك، كان غرضك أن تقرره بأنه الفاعل " [٣] .

فحينما يتقدم الفاعل لا يكون الشك في الحدث بل يكون للتقرير، ويستدل عبد القاهر على ذلك من كتاب الله تعالى إذ يقول " يبين ذلك قوله تعالى حكاية عن نمرود : ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾ لا شبهة في أنهم لم يقولوا ذلك له عليه السلام وهم يريدون أن يقر لهم بأن كسر الأصنام قد كان لكن أن يقر منه كان وكيف"[٤] .

فعبد القاهر أخذ من تقديم الفاعل قاعدة بلاغية ظهر من خلالها اتصال

---

(١) البلاغة الأسلوبية، د / محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر، لوحمان، ص ٤٩ .

(٢) الأسلوب الأدبي بين الاتجاهين النحو البلاغي، در صلاح عيد، مكتبة الأدب ١٩٩٣، ص ٤١ .

(٣) دلائل الإعجاز، تأليف الشيخ الإمام أبى بكر عبد القاهر عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، مطبعة المدني – جدة ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م – ص ١١٣.

(٤) دلائل الإعجاز ص ١١٣.

النحو بالبلاغة في كل شيء وحينما نتكلم عن ضمير الشأن نذكر القاعدة النحوية مثلاً، نقول في إعراب قوله تعالى:﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (١) .

اسم إن ضمير الشأن الهاء، لكن الإمام عبد القاهر يأخذ هذه القاعدة لينفذ منها إلى معنى بلاغي فيقول: " فقوله تعالى : ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ يفيد من القوة في نفي الفلاح عن الكافرين ما لو قيل إن الكافرين لا يعلمون " (٢)

وحين نتكلم عن اسم إن إذا كان ضمير شأن نقول: اسم إن ضمير الشأن ونقف في النحو عن هذا الحد، ولكن يكشف عبد القاهر الجرجاني سر جمال جعل اسم إن ضمير الشأن فيقول : " وجملة الأمر إنه ليس إعلامك الشيء بغتة غفلاً مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه، والتقدمة له؛ لأن ذلك يجرى مجرى تكرير الإعلام في التأكيد والإحكام ومن هنا قالوا : إن الشيء إذا أضمر ثم فسر كان ذلك أفخم له من أن يذكر من غير تقدمة إضمار ويدل على صحة ما قالوه أنا نعلم ضرورة في قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ فخامة وشرفًا وروعة لا نجد منها شيئًا في قولنا : فإن الأبصار لا تعمى " (٣)

ويزيد عبد القاهر الأمر وضوحًا حينما يمثل لذلك بمثال آخر كاشفًا عن السر الجمالي في جعل اسم إن ضمير شأن إذ يقول " وكذلك السبيل أبدًا في كل كلام كان فيه ضمير قصة فقول تعالى : ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ يفيد من القوة في نفي الفلاح عن الكافرين ما لو قيل إن الكافرين لا يفلحون لم

---

(١) سورة المؤمنون الآية ١١٧ .

(٢) دلائل الإعجاز ص ١٣٣ .

(٣) دلائل الإعجاز ص ١٣٢، ١٣٣ .

يستفد ذلك " [١] فعبد القاهر أخذ القاعدة النحوية اليسيرة جدًّا والمعلومة لدى أهل اللغة جميعًا إلا أنه سكب عليها من إبداعه البلاغي ، وألبسها ثوباً قشيبًا من البلاغة.

ومن الحق أن يقال: إن الإمام عبد القاهر نظر إلى كل القواعد النحوية حتى اليسيرة منها والتي يعلمها كل أهل اللغة جميعًا حتى المبتدئ منهم نظرة فاحص مدقق، وعالم خبير بصنوف الكلام فالذي اسم موصول، وكلنا نعلم ذلك إلا أن الرجل نظر إلى الصلة الوثيقة بين الذي، وبين معناها فنراه في أول الأمر يقول:

" اعلم أن لك في " الذي " علمًا كثيرًا، وأسرارًا جمة، وخفايا إذا بحثت عنها وتصورتها اطلعت على فوائد تؤنس النفس، وتثلج الصدر، بما يفضي بك إليه من اليقين، ويؤديه إليك من حسن التبيين " [٢] .

ويذكر عبد القاهر في سر التعبير بالذي من أن التعبير بالذي يخاطب به من كان الأمر عنده معلوما وبدونه يخاطب به من يجهل الأمر يقول الإمام عبد القاهر: " وليس ذاك إلا أنك في قولك هذا قدم رسولاً من الحضرة مبتدئ خبرًا بأمر لم يبلغ السامع ولم يبلغه، ولم يعلمه أصلاً، وفي قولك: " هذا الذي قدم رسولاً " معلم في أمر قد بلغه أن هذا صاحبه " [٣] .

فالإمام عبد القاهر نظر في قواعد النحو ثم شرع في بيان بلاغة هذه القواعد، وهذا ما كنا نأمله ونرجوه في العصر الحديث حتى يقدم النحو بطريقة ترغب الدارسين فيه، وتكسبه الخصوبة والمرونة بدلاً من أن يقدم جافًّا عقيمًا للدارسين، ومن جميل القواعد التي أتى بها عبد القاهر ما جاء في

---

(١) دلائل الإعجاز ص ١٣٣ .

(٢) دلائل الإعجاز ص ١٩٩ .

(٣) نفسه ص ٢٠١ .

نفي كل، فإذا تقدم الفعل المنفي على كل كان المقصود من ذلك نفي بعض المضاف إليه وليس كله، فإن تقدمت كل على الفعل المنفي أفادت نفي كل المضاف إليه بقول الإمام عبد القاهر : " واعلم أنه لما كان المعنى مع إعمال الفعل المنفي في كل نحو :" لم يأتي القوم كلهم، ولم أر القوم كلهم على أن الفعل قد كان من البعض " (١) .

ويكمل عبد القاهر فيرى أن الأمر مع الابتداء بكل يؤدى إلى اختلاف في المعنى فيقول: "ولا يكون ذلك مع رفع كل بالابتداء، فلو قلت كلهم لم يأت، ولكن أتاني بعضهم، وكل ذلك لم يكن ولكن بعض ذلك لم يجز لأنه يؤدى إلى التناقض " .

فعبد القاهر يذكر لنا في تقديم الفعل المنفي على كل ما يفيد نفي البعض وإذا تقدمت كل أفادت نفي الكل، والحق إن هذا في كتاب دلائل الإعجاز من الكثرة بمكان فهو بحق خير من وصل النحو بالبلاغة، وربط أكثر القواعد النحوية بالبلاغة، يأتي الرجل بالقاعدة، ثم يأتي بسياقها الذي ينبغي أن توضع فيه، والمقام الذي يقتضيها، وهنا تكمن البلاغة.

ويأتي ابن الأثير في كتابه الشهير المثل السائر؛ ليكشف لنا عن الصلة الوثيقة بين النحو والبلاغة، فتراه يذكر لنا القاعدة، والمعنى البلاغي، ويعلم القارئ من خلال قراءته لكتاب المثل السائر السياق الذي ينبغي أن تقال فيه القاعدة ومن ذلك ما جاء في كتابه عن تقديم الخبر على المبتدأ إذ يقول : " ومن تقديم خبر المبتدأ قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ فإنه إنما قدم خبر المبتدأ عليه في قوله : " أراغب أنت، ولم يقل: أنت راغب لأنه كان أهم عندهم، وهو به شديد

(١) دلائل الإعجاز ص ٢٨٣ .

العناية، وفي ذلك ضرب من التعجب والإنكار ..... الخ [١] فابن الأثير ذكر لنا مثالاً من تقديم الخبر على المبتدأ، ثم شرع بعد ذلك في بيان وتفصيل العلة التي جاء من أجلها هذا التقديم، ثم كشف عن المعنى مع التقديم، وبين أن في التقديم مزية وفضل على التأخير .

وفي إطلالة رائعة لابن الأثير يكشف لنا فيها عن بلاغة تقديم الظرف أو الجار والمجرور، ويرى في ذلك القصر والاختصاص، وأن في تقديمه معنى يختلف عن تأخيره ففي قولنا إن إلى مصير هذا الأمر يقول ابن الأثير : " فكقولك في الصورة المقدمة : إن إلى مصير هذا الأمر، ولو أخرت الظرف فقلت: إن مصير هذا الأمر إلى، لم يعط من المعنى ما أعطاه الأول، وذلك أن الأول دل على أن مصير الأمر ليس إلا إليك بخلاف الثاني إذ يحتمل أن توقع الكلام بعد الظرف على غيرك فيقال إلى زيد أو عمرو أو غيرهما " [٢] .

فقد ذكر ابن الأثير فضل تقديم الظرف على تأخيره، وأن في تقديمه بلاغة لا توجد إذا أخر وهذا في تقديم الظرف المثبت، أما تقديم الخبر المنفي أو تأخيره، فيذكر لنا ابن الأثير بلاغة هذا أو ذاك ففي قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [٣] "، وقوله تعالى : ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ [٤] يذكر لنا ابن الأثير قوله: " إنما أخر الظرف في الأول لأن القصد في إيلاء حذف النفي الريب، نفي الريب عنه، وإثبات أنه حق وصدق،

---

(١) سورة مريم الآية ٤٦

(٢) المثل السائر لضياء الدين ابن الأثير، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد جـ ٢ ص ٣٥٨، ١٩٣٩ م .

(٣) سورة البقرة الآية ٢ .

(٤) سورة الصافات ٤٧ .

لا باطل وكذب كما كان المشركون يدعونه ولو أولاه الظرف لقصد أن كتابًا آخر فيه الريب، لا فيه كما قصد في قوله تعالى : {لاَ فِيهَا غَوْلٌ }، فتأخير الظرف يقتضى النفي أصلاً من غير تفضيل، وتقديمه يقتضى تفضيل النفي عنه، وهو خمر الجنة ..... الخ [١] .

ويلح ابن الأثير على هذه الجزئية مستشهدًا ببعض الأمثلة ليكشف لنا عن معنى الظرف إن تقدم، أو تأخر فيقول: " وهذا مثل قولنا :لا عيب في الدار، وقولنا: لا فيها عيب، فالأول نفي العيب عن الدار فقط، والثاني: تفضيل لها عن غيرها "[٢] فابن الأثير ذكر لنا القاعدة النحوية، ثم ذكر المعنى في كلتا الحالتين، وهنا يكمن أسرار التعبير بالتقديم، والتأخير، فالبلاغة والنحو قرينان متلازمان لا يجوز فصل أحدهما عن الآخر لأن كل قاعدة حتمًا تابعة للمعنى ومن الجدير بالذكر أن يذكر لنا ابن الأثير قاعدة مهمة في العطف بالواو، فقد استقر في أذهان الدارسين الرأي الراجح في الواو في أنها لا تفيد ترتيبًا، ولكن نرى ابن الأثير يأتي لنا بأمثلة في القرآن الكريم قد أفادت الواو فيها ترتيبًا، وإن لم يذكر ذلك صراحة، ولكن ضمن التقديم والتأخير فيقول في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [٣] .

يقول ابن الأثير: " وإنما قدم الظالم لنفسه للإيذان لكثرته، وأن معظم الخلق عليه، ثم أتى بعده بالمقتصدين، لأنهم قليل بالإضافة إليه، ثم أتى

---

(١) المثل السائر ص ٤٤ .

(٢) المثل السائر ص ٤٤ .

(٣) سورة فاطر الآية ٢٣٢ .

بالسابقين وهم أقل من القليل أعنى من المقتصدين " [١] .

فهؤلاء هم علماء البلاغة لم يدرسوا البلاغة بمعزل عن النحو، وهؤلاء علماء النحو لم يدرسوا النحو بمعزل من البلاغة، فما لنا ندرس كل علم بمعزل عن الآخر وأقمنا بينهما حواجز حصينة حتى صار كل منهما بالنسبة للآخر غريبا !!

(١) المثل السائر ص ٤٧ .

الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه .. وبعد ..

إن العلاقة بين النحو والبلاغة علاقة وثيقة من قبل عصر التدوين ومن بعد، فهما كل واحد غير قابل للفصل، فلا نحو بلا بلاغة، ولا بلاغة بلا نحو، فالنحو يضبط أواخر الكلمات، ويحفظ اللسان عن الخطأ، وهذا دور ليس بالقليل، ثم تأتى البلاغة، لتكشف عن معاني هذه القواعد، وتبين لنا المقام والسياق الذي ينبغي أن توضع فيه هذه القواعد.

فإذا جعلنا النحو والبلاغة كلا واحدا فإننا حينئذ نقبل على دراسة النحو بنفس راضية؛ لأننا لا ندرس قواعد جافة عقيمة، بل ندرس قواعد مع علمنا بمعناها وحينئذ نكون قد وصلنا إلى الغاية المرجوة من وراء دراسة قواعد النحو والبلاغة وقد توصلت إلى النتائج الآتية:

١ – الصلة بين النحو والبلاغة موجودة منذ العصر الجاهلي مرورًا بالعصر الإسلامي إلى عصر التدوين والتأليف .

٢ – أكثر علماء النحو في بداية عهد التأليف والتدوين وبعده جاءوا في كتبهم ببلاغيات مهمة، وكذلك علماء البلاغة ضمنوا كتبهم نحويات مهمة.

٣ – من أكثر الكتب وصلا بين النحو والبلاغة فيما قرأت دلائل الإعجاز وكذلك الجزء الثاني من المثل السائر لابن الأثير.

٤ – خير من ربط النحو بالبلاغة القرآن الكريم، فإن القرآن قد أخضع القواعد النحوية للبلاغة، بل قد يتركها إذا طلب السياق ذلك .

٥ – كثر الفصل بين النحو والبلاغة في العصر الحديث مما أصاب النحو بالعقم والجمود إلا قليلاً جداً على أنني بعد أن توصلت إلى هذه النتائج أوصى بما يلي :

١ – المزج التام بين النحو والبلاغة في المراحل الدراسية جميعها بما فيها المرحلة الجامعية .

٢ – أن تذكر القواعد، وتردف بعد ذلك بالمعنى، والعلة .

٣ – عدم الفصل بين أقسام اللغة العربية كلها، لأن كل فرع له صلة وثيقة بالآخر، لأن البلاغة قرينة النحو والصرف والمعجم والعروض وعلم اللغة.

٤ – تأليف كتب من أول الكلم والكلام إلى آخر قواعد النحو نذكر القواعد، ثم نذكر المعنى ونعلل.

وأخيرا هذا عمل من لا عمل له وجهد من لا جهد له

اسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه تعالى

فهرس المصادر والمراجع

١ – الأسلوب الأدبي بين الاتجاهين النحوي والبلاغي، د / صلاح عيد، مكتبة الآداب ١٩٩٣ م .

٢ – البلاغة الأسلوبية، د / محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر لو نجمان .

٣ – البلاغة الواضحة، على الجازم، ومصطفي أمين – المكتبة الوقفية، ط ٣، ٢٠٠٣. م .

٤ – الخصائص لأبى الفتح عثمان ابن جنى تحقيق محمد على النجار، الأستاذ بكلية اللغة العربية المكتبة الوقفية د – ٣ .

٥ – دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، مطبعة المدني، جدة – ١٤١٣ – ١٩٩٢ م .

٦ – شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، للصف الثالث الثانوي، لجنة إعداد وتطوير المناهج الأزهرية ١٤٤١ – ١٤٤٢ هـ ٢٠٢٠ – ٢٠٢١م

٧ – شرح التصريح على التوضيح، أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو للشيخ خالد بن عبد الله الأزهري تحقيق محمد باسل عيون السود، منشورات محمد على بيضون دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

٨ – شرح المفصل، موفق الدين يعيش عنيت بطبعه ونشره بأمر المشيخة إدارة الطباعة المنيرية .

٩ – صلة النحو بالبلاغة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة والأدب العربي إعداد فراج ظهير، إشراف أ – د محمد بلعيدون ١٤٣٨ – ١٤٣٩ هـ – ٢٠١٦ – ٢٠١٧ م .

١٠ – ديوان حسان بن ثابت حققه وعلق عليه د/ وليد عرفات أستاذ العربية والإسلامية بجامعة لانكستر دار صادر بيروت الجزء الأول .

١١ – ديوان زهير بن ديوان طرفه بن العبد شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت لبنان سنة ١٤٢٣هـ –٢٠٠٢م أبي سلمي، دار صادر بيروت د . ت .

١٢ – غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب تأليف الشيخ الإمام محمد السفاريني الحنبلي . د. ت

١٣ – الكتاب لسيبويه، أبى بشر عمرو بن عثمان قنبر، تحقيق وشرح عبد السلام حازون جـ ٤ ١٤٠٢ – ١٩٨٢ – مكتبة الخانجي بالقاهرة دار الرفاعي الرياض .

١٤ – المثل السائر لضياء الدين ابن الأثير، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد جـ ٢ ١٣٥٨ – ١٩٣٩م .

١٥ – معاني النحو، د / فاضل السامرائي دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

١٦ – مفتاح العلوم لأبى يعقوب يوسف ابن أبى بكر، محمد بن على السكاكي، تحقيق نعيم زرزور دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

١٧ – النحو والبلاغة علمان أم علم واحد بفرعين، بحث في طبيعة العلاقة بين النحو والبلاغة عند القدماء والمحدثين، الكاتب عبد العليم بو فاتح، من مقال منشور على موقع جوجل.

Index of sources and references

1) Al'uslub Al'adabiu Between Aliatijahayn Al nahwii and Albalaghi, Dr / Salah Eid, Arts Library 1993AD.
2) Albalaghat Al'uslubiati, Dr / Muhamad Abd Almutalabi, Lebanon Library, Egyptian International Publishing Company Longman
3) Albalaghat Alwadihatu, Alaa Aljazim, and Mustafi Amin Alwaqfiati Library, Edition 3, 2003.
4) Al khasayis li Abaa Alfath Outhman Ibn Jinaa, edited by Muhamad Alaa Alnijar, Professor at the Faculty of Arabic Language Alwaqfiat Library, Edition 3
5) Dalayil Al'iiejazi, Abd Alqahir Aljirjani, Al Madani Press, Jeddah 1413 / 1992AH.
6) Sharah Ibn Eaqil Ealaa Alfiat Ibn Malk, , for the third grade of secondary school, the Committee for the preparation and development of Al-Azhar curricula 1441 / 1442 AH_ 2020 / 2021AD
7) Sharh Altasrih Ealaa Altawdihi, 'aw Altasrih bimadmun Altawdih fi Alnahw li Alshaykh Khalid bin Aabd Allah Al'azhari edited by/ Muhamad Basil Euyun Alsuwdu, Muhammad Ali Beydoun Publications Dar Al-Kutub Al-Alamia Beirut Lebanon
8) Sharah Almufasali, Muafaq Aldiyn Yaeish printed and published by the order of the sheikhdom Al-Muniriyah Printing Department

9) Silat Alnahw bi Albalaghati, A thesis submitted to obtain a master's degree in Arabic language and literature, prepared by Farraj Zahir, supervised by Prof. Dr. Mohamed Belaidoun 1438 / 1439AH - 2016 2017AD

10) Diwan Hassan bin Thabit - edited and commented on by Dr. Walid Arafat, Professor of Arabic and Islamic at Lancaster University, Dar Sader, Beirut, Part One, p. 35..

11) Diwan Zuhair bin Diwan Tarfa bin Al-Abd explained and presented to it Mahdi Muhammad Nasir al-Din Muhammad Ali Beydoun Publications Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya Beirut Lebanon in 1423 AH - 2002 AD p 25 Abi Salmi, Dar Sader Beirut p 76 (Study and verification).

12) Ghidha' Alalbab li Sharh Manzumat Aladab written by Alshaykh Al'iimam Muhamad Alsifariniu Alhanbali. Study and verification

13) Alkitab by Sibwyh, Abi Bashar Amr bin Uthman Qanbar, verificated and explained by Abd Alsalam Hazun, part 4 1402 / 1982 Al-Khanji Library in Cairo Dar Al-Rifai Riyadh.

14) Almuthal Alsaayir by Dia' Aldiyn Ibn Alathir, verificated by /Muhamad Mahaa Aldiyn Abd Alhamid part 2 1358 1939AD

15) Maeani Alnahuw, Dr / Fadil Alsaamaraayiy Dar Al Fikr for Printing, Publishing and Distribution.

16) Miftah Aleulum by Abi Yaequb Yusif Ibn Abi

Bakar, Muhamad bin Alaa Alsakaki, verificated by Naeim Zarzur Dar Alkutub Aleilmiat

Beirut Lebanon.

17) Syntax and Rhetoric are two sciences or one science with two branches, a study of the nature of the relationship between Syntax and Rhetoric among the ancients and moderns, writer/ Abdel Alim Bou Fatih, from an article published on Google.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٦٨٩
التمهيد	٦٩٥
الفصل الأول : الصلة بين النحو والبلاغة قبل التقعيد النحوي والتنظير البلاغي	٦٩٨
الفصل الثاني : الصلة بين النحو البلاغة بعد التقعيد النحوي، والتنظير البلاغي	٧٠٦
الخاتمة	٧٢١
فهرس المصادر والمراجع	٧٢٣
فهرس الموضوعات	٧٢٨